ولابن افرنجيّة تفنّن في الشعر فانّهُ تناول كلّ انواعهِ كالوشحات والزجل وطرق الخماس والبديع . فمن ذلك قولهُ وهو يقرأ طردًا وعكسًا فينتقل من معنى المديح الى الهجو :

عدلوا فما ظلمتْ بهم دولٌ سعدوا فما زلّتْ بهم قدمْ
بذلوا فما شحّت لهم شيمٌ رشدوا فلا زالت لهم نِعَمُ

فان عُكست قراءتها صارت :

قدمٌ بهم زلّت فما سعدوا دُوَلٌ بهم ظلمت فما عدلوا
نِعَمٌ لهم زالت فلا رشدوا شيمٌ لهم شحّت فما بذلوا

ولهُ زجلٌ ضمّنهُ مناظرةً بين الشيخ (التتن) والقهوة . وهو بالشعر العامي اولهُ :

قصّة جرت بين التتن والقهوه وتفاخر الاثنان وزادا برهانْ

وختمها بان حكّم بينهما العرق :

قال العرق نحنْ رفاقٌ جمله في حمتنا نخدم مزاجْ اهل الكيفْ
انت بلاها ما يبان الشّ لذّهْ وانتِ بلاهْ ما تنقليه كانّهْ زيفْ
طاعن بجنسه في المثل قد قالوا في المثال هو طاعن بنفسه يا حيفْ
والصلح في الحالة رئيس الاحكامْ واتما الانسان بحالهْ اخوانْ
فتصالح الاثنان وزالت الاحقادْ وتوافقا كأن المقدّر ما كانْ

الطاعون

رسالة لجناب الدكتور فيليب افندي بركات طبيب المستشفى الافرنسي في بيت لحم

كتب لي وصيف صديق موظّف في احدى ادارات البواخر التي تخالط جدّة عن بعض حوادث الطاعون التي شاهدها فقال ما معرّبه :

ايها الصديق : اليك اخبار لا تسرّك عني لان وظيفتي خطرة اعرّض بها نفسي شأن كلّ الاطباء للموت العاجل وها الطاعون قد وفد علينا في هذه الجهات فأرعدت فرائصي غير اني تجلّدت للبلاء ودونك خبر ما شاهدت عيانًا هذه المدّة :

بينما كنت في قهوة اتزّه الخاطر من عناء الاشغال المتواصلة اذ سمعت أعرابيًا بجانبي يقول (مسكين يا حكيم اصاب فلان الطاعون تعالَ اليه) واشار بيده الى الرجل فالتفت يمنة واذا بشاب بالغ من العمر نحو العشرين سنةً فقربتُ منهُ سائلًا : ما تشكو ايها الشاب قال : الصداع والأوار واحسّ بنار تحرق احشائي . وكان وجه الفتى مصفرًا وحدقتا عينيه متّسعتين . ولمّا لم يكن لديّ غير الماء بلّلت منديلي ووضعتهُ على رأسه وصرتُ

انتقلهُ على سائر جسمهِ لاطفيَّ حرارتهُ. ثمَّ حملهُ الناس الى بيتهِ. ولم ارَهُ الَّا بعد ثلاثة ايَّام. وفي اليوم الرابع دخلتُ عليهِ فوجدتهُ ينتفض من البرد وقد ذكَّرتني حالتهُ ما كنَّا نشاهدهُ في بيروت بالمصابين بالحمَّى المالاريَّه فوصفت لهُ بعض المنبِّهات المعرِّقات واشرتُ بوجوب دعوتي اليهِ بعد يومين. فلمَّا آن الزمن قصدتهُ وذُهلت من التغيير العجائبي الذي طرأ على جسمهِ وكان قد اصاب المريض بعد القشعريرة حمَّى قويَّة وكانت سَخنَتُهُ تُشبهُ سَخنَةَ رجل مصاب بالتيفوئية وجلدهُ سخن ناشف ولسانهُ اسود وهو يصرخ: (الماء الماء احترقتُ) وعيناهُ منتفختان دامعتان. ثم وضعت يدي على معدتهِ واسفل بطنهِ فشكى وجعاً اليماً وتقيَّأ امامي. فلمَّا انتهى جسستُ نبضهُ فاذا اختلاجهُ يبلغ مئة في الدقيقة وكانت حركة تنفسهِ سريعة كأنَّهُ يلهثُ لهثاً وقال لي اهلهُ: «انَّهُ مهبول يصيبهُ هذيان وإغماء. وتريفٌ دموي. وألصقتُ اذني بصدرهِ فسمعتُ منهُ خرخرة. امَّا وَجَباتُ قلبهِ فكانت ضعيفةً فوصفت لهُ دواء يعاكس الاعراض المهمَّة الخطرة ووصَّيتُ أهلهُ ان آدعوني بعد ثلاثة ايَّام اذا بقي مريضكم في قيد الحياة. فلمَّا كان اليوم المعيَّن عدتُهُ فلم اجد فيهِ اثرًا للحمَّى انَّما رأيت عُدَدًا في ابطيهِ وفي اربيَّتهِ وفي عنقهِ وجمرات غنغرينة في جملة اجزاء من بدنهِ. امَّا العُدَد فكانت منتفخة مؤلمة عند اللمس ففتحتها بالمشرط فخرج منها صديد كريه الرائحة وعالجتها بالمطهِّرات وقلت اني راجع غدًا للمريض واملي بالله انهُ يَشفى وهكذا كان. وصرت اعودهُ كل يومين واصف لهُ المقوِّيات والمنبِّهات الى ان تعافى

وانهُ يحق لك ان تتعجَّب ايها الصديق من شفاء مريض مصاب بالطاعون انَّما الحادثة نادرة وموت المطعونين هو القاعدة لاني شاهدت اكثر من عشرة حوادث مختلفة الاشكال ادَّت المصابين بهذا الوباء للموت العاجل. منها امرأة عجوز ماتت ببرهة خمس او ستّ ساعات ومنها ابنة شابَّة اصابها الطاعون ورافقهُ تريف دموي غزير اودى بحياتها باسرع آن

انتهى ملخص رسالة الرصيف الصديق. وقد احببت تعريبها لفائدة الاطباء لانها تذكر اعراض الطاعون واشكاله بوجه قريب من الكمال. وفي مقالة ثانية اكتب للشرق ما اتوصل لمعرفته من تاريخ هذا الوباء واسبابهِ وما توصَّل اليهِ العلماء عن طرق علاجهِ الواقية والشافية وبالله المستعان